وقائع المؤتمر العلمي السنوي الثالث لكلية التربية الأساسية
في مجال العلوم الانسانية والتربوية والنفسية والموسوم:
(مؤتمر كلية التربية الأساسية في مجال العلوم الإنسانية والتربوية والنفسية)
وتحت شعار (نحو رؤية إنسانية وتربوية رائدة لبناء مجتمع معرفي متكامل)
يومي الاحد و الاثنين 14-2026/6/15

علاقة حكام الأندلس بالعامة عصري المرابطين والموحدين
(م 1091 – 1223 / هـ 484 – 620)

ا.م.د. حيدر علي حول
جامعة جابر بن حيان للعلوم الطبية والصيدلانية

مستخلص البحث:

حين نتأمل تاريخ الاندلس في مرحلتيه المرابطية والموحدية نجد انفسنا امام تجربة انسانية بالغة الثراء والتعقيد في ان واحد وهي تجربة تكشف كيف ان الشرعية السياسية ليست معطى ثابتا يمنح مرة واحدة بل هي رصيد متحرك يبنى يوما بيوم ويتاكل بالقدر ذاته وتتناول هذه الدراسة طبيعة العلاقة التي نشأت بين حكام الاندلس وعامة الناس في العهدين المرابطي الممتد بين عامي 484 و541 هجريا والموحدي الذي اعقبه حتى عام 620 هجريا وقد اعتمد البحث على منهج تحليلي وصفي مقارن يستند الى المصادر العربية الاولية ويستانس بالدراسات المعاصرة وخلص الى ان العلاقة بين الحاكم والمحكوم لم تكن يوما علاقة جامدة احادية الاتجاه بل كانت تتأرجح بين الرضا والاحتجاج وفق ما تفرزه الاحوال الاقتصادية والمواقف الدينية وطبيعة التهديدات الخارجية والاعظم من ذلك ان الدراسة تكشف ان صوت العامة لم يكن صامتا قط حتى حين بدا كذلك

المقدمة

ثمة لحظات في التاريخ تكتسب قيمتها الحقيقية لا من ضخامة الاحداث التي تشهدها بل من عمق ما تكشفه عن طبيعة الانسان في مواجهة السلطة والاندلس في مرحلتيها المرابطية والموحدية واحدة من هذه اللحظات المفصلية التي لا تنضب دلالاتها فنحن لا نتحدث عن مجرد اسرتين حكمتا ارضا ثم رحلتا بل نتحدث عن تجربتين متعاقبتين في بناء السلطة وادارة المجتمع في بيئة بالغة التعقيد ومتعددة الاعراق والثقافات والمذاهب وتتناول هذه الدراسة طبيعة العلاقة التي نشأت بين حكام الاندلس وعامة الناس في العهدين المرابطي الممتد بين عامي 484 و541 هجريا والموحدي الذي اعقبه حتى عام 620 هجريا وهو العام الذي يمثل محطة حاسمة في تراجع النفوذ الموحدي بالاندلس بعد الهزيمة في معركة العقاب حيث تلا ذلك توقف السيطرة الفعلية وبداية السقوط التدريجي للدولة في الاندلس امام تمدد مملكة قشتالة الاسبانية التي نجحت في اسقاط دولة الموحدين نهائيا عند حدود سنة 646 هجريا بعد ان شهد الربع الاخير من عهد هذه الدولة احداثا اجتماعية وسياسية جساما اثرت بشكل مباشر في بنية المجتمع الاندلسي وعلاقته بالسلطة ولم يتطرق الباحثون سابقا لتفاصيلها في ثنايا الدراسات السابقة[1] وينطلق البحث من ضرورة تفكيك بنية عامة المجتمع الاندلسي الذي لم يكن كتلة واحدة بل كان يضم قوميات واثنيات مختلفة ومتنوعة تعيش في تداخل مستمر مثل البربر والعرب والاندلسيين والمولدين بالاضافة الى السكان الاسبان المسيحيين حيث يتوجب الاشارة الى هذا التنوع الاثني في مقدمة البحث لكون الدراسة تمس بشكل مباشر عامة المجتمع ومكوناته المتعددة وكيفية

[1] ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م، ج 3، ص 56

تفاعل هذه المكونات مع السلطة الحاكمة وجاء المرابطون من عمق الصحراء الغربية المغاربية حاملين مشروعا ديني في جوهره سياسيا في تجلياته وكانوا يعرفون جيدا كيف يوظفون صورة المنقذ الذي ياتي في اللحظة الاخيرة وقد وجدوا في الاندلس ارضا خصبة للقبول الشعبي بعد ان انهك ملوك الطوائف قواهم في حروب داخلية لا تنتهي فيما كانت مملكة قشتالة تقضم الاراضي الاسلامية واحدة بعد اخرى لكن السلطة التي تبنى على صورة المنقذ وحدها مصيرها ان تتاكل حين تتكشف الهوة بين الوعد والانجاز ثم جاء الموحدون بعد ذلك بسنوات يحملون خطابا اكثر صرامة واعمق جذورا في عالم الفقه والعقيدة لكنهم وجدوا ان الاندلسيين اناس ابوا دائما ان يختزلوا في قالب واحد كان المجتمع الاندلسي مجتمعا يعرف كيف يتكيف ويقاوم ويعبر عن رايه بطرق قد لا تبدو صراحة احتجاجا لكنها في جوهرها كذلك من هنا تاتي اهمية هذا البحث فهو لا يتناول تاريخ الدول والاسر الحاكمة بل يتناول تاريخ الناس العاديين في علاقتهم بتلك الدول يتناول الحرفي في سوق اشبيلية والفلاح في ضواحي غرناطة والخطيب في مسجد قرطبة وهم يتعاملون مع سلطة تارة يرحبون بها وتارة يشكون منها وتارة يتجاهلونها وتارة يواجهونها

مشكلة البحث

تنطلق مشكلة البحث من اشكالية تاريخية حقيقية وهي ان الروايات التاريخية التقليدية تميل الى تصوير المجتمع الاندلسي في العهدين المرابطي والموحدي كتلة سلبية تتلقى القرارات وتنصاع للسلطة لكن قراءة اكثر دقة للمصادر الاولية تكشف عن صورة مغايرة تماما وهي صورة مجتمع حي ومتفاعل يمتلك اليات تعبير وادوات ضغط واشكال مقاومة متعددة فما الذي يجعل الشرعية الدينية في سياق بعينه رافدا للقبول الشعبي وفي سياق اخر مصدرا للتوتر والرفض وكيف تحول الرضا الشعبي في كلا العهدين الى احتجاج تدريجي وهل يمكن القول ان العامة كانوا قوة سياسية فاعلة بمعنى حقيقي ام انهم ظلوا اداة في يد النخب المختلفة[2]

اهداف البحث

يسعى هذا البحث الى تحقيق جملة من الاهداف المترابطة واولها رصد اوجه التفاعل السياسي والاجتماعي والديني بين السلطة الحاكمة ومختلف فئات المجتمع الاندلسي في العهدين ويهدف البحث كذلك الى تتبع مسار الشرعية الشعبية لكل من الدولتين من لحظة نشاتها حتى بداية تآكلها والكشف عن العوامل التي اسهمت في هذا التاكل فضلا عن ذلك يسعى البحث الى اجراء مقارنة تحليلية منهجية بين اسلوب المرابطين واسلوب الموحدين في بناء الشرعية وادارة الاحتجاج وتحديد موضع العامة في منظومة الحكم لدى كل دولة واخيرا يسعى البحث الى تقديم قراءة اكثر انصافا لدور الفئات الاجتماعية الاقل حضورا في التاريخ الكلاسيكي

[2] ابن الخطيب لسان الدين، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م، ج 1، ص 210

اسئلة البحث

يسعى البحث للاجابة عن الاسئلة الاتية كيف استثمرت كل من الدولتين المرابطية والموحدية الخطاب الديني في بناء شرعيتها لدى عامة الاندلسيين وما حدود نجاح هذا التوظيف وما الاسباب الهيكلية والظرفية التي افضت الى تحول المزاج الشعبي من الترحيب الى التذمر في كلا العهدين وهل شكل العامة قوة سياسية مستقلة ذات ارادة واثر ام كانوا في حقيقتهم هامشا تحركه النخب الدينية والاقتصادية وما الفوارق الجوهرية بين تجربتي المرابطين والموحدين في ضوء المقارنة التحليلية وكيف وظف المجتمع الاندلسي اشكال التعبير الثقافي من شعر وزجل وخطبة ومسجد للتعبير عن مواقفه من السلطة

منهجية البحث

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي بوصفه الاطار المنهجي الرئيسي اذ يتيح هذا المنهج للباحث ان يرصد الظواهر التاريخية ويصفها في سياقها الزمني والمكاني ثم يخضعها للتحليل والتفسير بدلا من الاكتفاء بسردها وقد تم استثمار المنهج المقارن بالتوازي مع ذلك من خلال المقارنة المنهجية بين العهدين المرابطي والموحدي في الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية ذات الصلة بموضوع البحث

اما مصادر البحث فقد تنوعت بين الطبقتين الاولية والثانوية فمن المصادر الاولية استعين بكتب التاريخ العام كالبيان المغرب لابن عذاري والعبر لابن خلدون وكتب الجغرافيا والرحلات التي تضمنت شواهد اجتماعية مهمة كالروض المعطار للحميري فضلا عن كتب التراجم والادب التي تكشف عن ملامح الحياة اليومية كوفيات الاعيان لابن خلكان - مع الاخذ بعين الاعتبار ان هذا الكتاب يعنى في الغالب بتراجم الطبقة الحاكمة والعلماء المشاهير من الاعيان، ومعظم تراجمه مشرقية المنحى، وتندر فيه تراجم الاندلسيين - والاحاطة لابن الخطيب وقد اولي اهتمام خاص بالمصادر التي تتناول صوت العامة بصورة مباشرة او غير مباشرة حتى لو جاء هذا الصوت مرشحا عبر رواية المؤرخ النخبوي[3]

الاطار المفاهيمي من هم العامة وعلاقتهم بالتركيبة القومية والقبلية للحكام

قبل الخوض في تفاصيل العلاقة لا بد من وقفة مع المصطلح نفسه فالعامة كلمة سهلة الاطلاق عسيرة التحديد وفي المصادر الاندلسية تشمل هذه الكلمة طيفا اجتماعي واسعا يمتد من الحرفيين اصحاب الورش الصغيرة والتجار الذين يديرون متاجر السوق اليومية والفلاحين الذين يشكلون الغالبية الساحقة من السكان وصولا الى الجند العاديين الذين يحملون السيوف لقاء عطاء شهري والى فقهاء الدرجة الدنيا الذين يعيشون من دروس الاطفال وفتاوى الزواج والطلاق وتتقابل هذه الفئة الواسعة مع ما اصطلح المؤرخون على تسميته بالخاصة وهم الفقهاء الكبار والقضاة وقادة الجند والتجار الاثرياء الذين يملكون راس المال والنفوذ والقدرة على الوصول الى صناع القرار

[3] الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص 47

وهنا يتبين لنا ان عامة المجتمع الاندلسي لم يكونوا كتلة صماء متجانسة ذات مصالح موحدة بل كانوا مجموعات بالغة التباين في مصالحها ورؤاها الحرفي في قرطبة لا يشترك بالضرورة في همومه مع الفلاح في ضواحي بلنسية وتاجر الاقمشة في اشبيلية قد يتضرر من سياسة ضريبية بعينها في حين يستفيد منها خصمه التاجر الكبير الذي يملك علاقات مع الادارة المرابطية هذا التعدد والتباين هو اول ما ينبغي ان يستحضره الباحث قبل ان يصدر حكما عاما على موقف العامة من هذه السلطة او تلك[4]
وكان حضور العامة في مجريات الحياة السياسية اكبر بكثير مما يتصور للوهلة الاولى فهم من يملؤون الاسواق ويشعلون الاضرابات حين يرون في الاسعار ظلما لا يحتمل وهم من يتقاطرون على المساجد ويصغون الى الخطب باذن واعية قادرة على التقاط الاشارات الضمنية وهم من يرفعون الشكاوى الى القضاة او يتجاهلون اوامر الجباة او يفرون الى الجبال حين تصبح الحياة في المدينة لا تطاق ومن يشكلون قاعدة التطوع في حروب الثغور حين يشعرون ان الخطر حقيقي وان القيادة جديرة بالثقة[5]
وهنا تبرز اهمية دراسة التركيبة الاجتماعية حيث كان القاسم المشترك بين دولتي المرابطين والموحدين هو انتمائهم القبلي والعرقي الى العنصر البربري او الامازيغي وهو ملمح اساسي اثر بشكل واضح في طبيعة الادارة والحكم وسياستهم تجاه المجتمع الاندلسي ذي الطبيعة الحضارية المختلفة مما اوجد نوعا من التفاعل والتاثر المتبادل بين الوافدين الامازيغ والسكان المحليين في الاندلس ولم يشر الباحثون سابقا الى هذا الاثر مطلقا سيما وان الدراسة تتحدث عن المجتمع الاندلسي وتطوره وعلاقته بهؤلاء الحكام الوافدين من عصبية قبلية بربرية واحدة تشكل القوام البشري للدولتين المتعاقبتين والاندلس في هذه المرحلة كانت تضم خليطا من قوميات واثنيات مختلفة تعيش في تداخل مستمر مثل البربر والعرب والاندلسيين والمولدين بالاضافة الى السكان الاسبان المسيحيين ولذلك فان سياسات الحكام البربر واجهت تحديات كبيرة في استيعاب هذه المكونات المتعددة التي تمس عامة المجتمع الاندلسي[6]

المبحث الاول عصر المرابطين 484 الى 541 هـ

1 لحظة الانقاذ وميلاد الشرعية

لفهم طبيعة العلاقة بين المرابطين وعامة الاندلس لا بد ان نستحضر المناخ النفسي الذي سبق وصولهم كانت الاندلس في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري تعيش حالة من الاحباط الجماعي العميق فمنذ ان تفككت الدولة الاموية ونشأت ممالك الطوائف وهي تتصارع فيما بينها بينما كانت ممالك الشمال النصراني تستغل هذا التشتت وتتقدم ببطء محسوب نحو الجنوب وحين سقطت طليطلة عام 478 هـ تحت سلطة الفونسو السادس كان الصدى النفسي لتلك الهزيمة اعمق بكثير من

[4] ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987م، ص 73

[5] ابن الابار القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج 2، ص 198

[6] ابن ابي زرع الفاسي، الانيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص 88

اثرها العسكري[7] في هذا السياق جاء نداء الاندلسيين الى يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين طلبا للانقاذ وليس رغبة في الخضوع لحكم اجنبي كانوا يريدون جيشا يرد الخطر لا ولاة يديرون شؤونهم غير ان التاريخ نادرا ما يسير بحسب ما يريد الناس فقط حين عبر المرابطون المضيق عام 479 هـ ثم عادوا عام 484 هـ ليبسطوا سيطرتهم الكاملة كان كثير من عامة الاندلس يرحبون بهم بحماسة حقيقية فهؤلاء الوافدون الجدد كانوا يعدون بالغاء الضرائب غير الشرعية التي اثقلت كاهل الناس وبإقامة حكم يلتزم بالشريعة وبصون حدود الاسلام من عدوان ممالك الشمال[8]

وقد اسهم الفقهاء المالكيون اسهاما حاسما في تهيئة مناخ الاستقبال فهم الذين دأبوا على تصوير المرابطين في خطبهم ودروسهم بوصفهم نعمة من الله على اهل الاندلس لا غزاة مستعمرين وكانت هذه الشرعية الدينية التي يمنحها الفقيه من قوة شعبية حقيقية لان العامة كانوا يثقون بفقهائهم ثقة تجعل رايهم في اي مسالة عامة[9]قريبة من حكم الله نفسه في وعيهم الجمعي، ويعني ذلك ان الفقيه المالكي في الاندلس لم يكن مجرد عالم دين بل كان مرجعية اجتماعية وسياسية في آن، وكانت فتواه في المسائل العامة تحمل ثقلا شبه تشريعي في نظر عامة الناس الذين لم يميزوا دائما بين الراي الديني والحكم القانوني الملزم

2 ملامح التفاعل اليومي بين الادارة المرابطية والمجتمع

حين استقر المرابطون في الاندلس واصبحوا سلطة حاكمة لا قوة منقذة بدأت تتشكل طبيعة علاقتهم اليومية بالمجتمع وكانت علاقة اكثر تعقيدا مما توحي به صورة البطل المنقذ فقد اعتمد المرابطون في ادارة الاندلس على جهاز اداري مزدوج يجمع بين الولاة القادمين من المغرب والقضاة المحليين الذين يعرفون اللغة الاندلسية ويفهمون تضاريس المجتمع[10] وكان قضاء المظالم الية مهمة في تنظيم هذه العلاقة اذ اتاح للمواطن العادي ان يرفع شكواه الى الوالي او القاضي في اطار يوفر قدرا من الحماية القانونية التي لم يعرفها الناس في عهد ملوك الطوائف المتصارعين، غير ان المصادر التاريخية تكشف ان هذا القضاء لم يكن محايدا في جميع الاحوال؛ اذ كان موجها ومحكوما في احيان كثيرة بسلطة الولاة الصنهاجيين الذين غلّبوا العصبية القبلية على الاحكام القضائية في بعض النزاعات، مما اسهم في تكريس تذمر العامة من الادارة المرابطية وكان من الاسباب البنيوية التي

---

[7] انخيل بالنسيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955م، ص 132

[8] امبروسيو هوسي ميراندا، تاريخ المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1991م، ص 215

[9] ابن عذاري المراكشي البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب تحقيق ج س كولان وا ليفي بروفنسال دار الثقافة بيروت ط3 1983م ص 120

[10] حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، مدريد، 1967م، ص 164

مهدت لسقوطها. وقد اشاد ابن بسام الشنتريني بعدد من الولاة المرابطين الذين كانوا يفتحون ابوابهم للناس ويستمعون الى شكاواهم بصبر وجدية، مما يشير الى ان الممارسة تفاوتت بين والٍ وآخر[11] على صعيد اخر حرص المرابطون على الابقاء على المؤسسة الدينية المحلية وهي المساجد والمدارس الفقهية التي كانت مراكز ثقل اجتماعي حقيقي وكان هذا الخيار ذكيا من الناحية السياسية لانه جعل الفقهاء المحليين شركاء في الشرعية لا خصوما لها لكنه في المقابل جعل الحاكم المرابطي رهينا بحد ما لرضا هؤلاء الفقهاء ولسلوكه وفق المعايير التي يضعونها[12]

3 الفجوة تتسع ومصادر التوتر مع العامة

لم يمض وقت طويل حتى بدأت الصورة تتشقق من حواشيها واول مصادر التوتر كان ما يتعلق بالضرائب تلك القضية التي كانت ولا تزال اقصر طريق الى قلوب الناس في اي زمان واي مكان فقد وعد المرابطون بالغاء الضرائب المحدثة التي لا سند لها في الشريعة والمعروفة بالمكوس لكنهم حين واجهوا واقع ادارة بلاد واسعة وتمويل جيوش دائمة وجدوا انفسهم امام ضرورات مالية اعادتهم الى فرض الضرائب او الابقاء عليها تحت مسميات مختلفة وكان هذا التراجع عن الوعد الاول جرحا غائرا في الثقة الشعبية بالادارة المرابطية[13] ثاني مصادر التوتر كان ذا طابع ثقافي فالمرابطون الذين جاءوا من بيئة صحراوية بدوية وجدوا انفسهم في مواجهة مجتمع حضري راق طور ذوقا جماليا وادبيا رفيعا واسلوب حياة متحضر لم يكن مالوفا لدى القادمين من المغرب وقد نظر بعض قادة المرابطين بريبة الى مظاهر الحضارة الاندلسية المتعددة وكانت لهم احكام صارمة على الموسيقى والشعر الغزلي وبعض العادات الاجتماعية مما خلق احتكاكا مع شرائح اجتماعية اندلسية كانت ترى في هذه الاشياء جزءا من هويتها لا ترفا يمكن الاستغناء عنه[14] اما الحادثة الاكثر اثارة للجدل في هذا الاطار فكانت احراق كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي عام 503 هـ بفتوى من فقهاء المالكية الموالين للمرابطين لم يكن هذا الحريق مجرد حدث ثقافي بل كان رسالة سياسية عنوانها ان الدولة ستحدد ما يقراه الناس وما يفكرون فيه وقد ولد ذلك موجة واسعة من الاستياء الصامت لا سيما في الاوساط التجارية والعلمية التي كانت على تواصل وثيق مع العالم الاسلامي الاوسع وتقدر الغزالي وعلومه تقديرا رفيعا[15]

---

[11] ابن بسام الشنتريني الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة تحقيق احسان عباس دار الثقافة بيروت 1979م ج 4 ص 315

[12] عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م، ج 3، ص 92

[13] ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987م، ص 140

[14] ابن الخطيب لسان الدين، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م، ج 2، ص 34

[15] ابراهيم القادري بوتشيش المغرب والاندلس في عصر المرابطين دار الطليعة بيروت 1993م ص 85

4 الاحتجاج يتخذ اشكاله الاجتماعية والثقافية

حين يعجز الناس عن قول لا مباشرة لسلطة تملك القوة يجدون دائما طرقا اخرى للتعبير عن رفضهم وقد كانت الاندلس في العهد المرابطي مجتمعا يعرف كيف يوظف ما يمتلكه من ادوات التعبير غير المباشر فالازجال الشعبية التي كانت تتناقلها افواه السوق والطريق كانت تنضوي احيانا على نقد مبطن للمرابطين وسياساتهم ملفف باقنعة الغزل والشكوى العامة من جور الزمان[16]

وكانت ثمة اشكال اكثر مباشرة من الاحتجاج في مناطق الثغور التي كانت تعاني من تراجع الحماية العسكرية في اواخر العهد المرابطي فقد رصدت المصادر احتجاجات متفرقة في مدن مثل بطليوس وسرقسطة والمرية جمع اصحابها بين رفض التقصير المرابطي في الدفاع والمطالبة بسياسات اقتصادية اكثر عدلا وان كانت هذه الاحتجاجات لم ترق في معظمها الى مستوى التمرد المسلح الا انها شكلت ضغطا تراكميا على شرعية الدولة في تلك المناطق[17]

المبحث الثاني عصر الموحدين 541 الى 620 هـ

1 مشروع مختلف وفلسفة حكم عقائدية جديدة

حين يتأمل المرء مشروع الموحدين يلاحظ فارقا جوهريا عن المرابطين فالمرابطون كانوا في الاساس حركة سياسية عسكرية وظفت الدين خطابا شرعيا لكن الدين لم يكن في صميم بنيتهم الفكرية بالمعنى العميق اما الموحدون فقد جاؤوا من سياق عقدي مختلف بنى فيه محمد بن تومرت رؤية كلامية وفقهية متكاملة تدعي انها الاسلام الصحيح في مواجهة ما اعتبره الاسلام المحرف الذي سادت صورته في المغرب والاندلس وحيث ان المرابطين اشتهروا سابقا بتمسكهم الشديد بمذهب مالك بن انس وتعصبهم الواضح للمذهب المالكي فان فكرة الموحدين الدينية قامت على اساس مغاير تماما وهو فكرة الامام المهدي المنتظر والعصمة التامة له وهو ما احدث اسهاما فكريا وعقائديا غريبا عن البيئة الاندلسية ادى بالضرورة الى حدوث صدمات مجتمعية وفقهية واسعة بين الاندلسيين المتمسكين بموروثهم الفقهي التقليدي وبين السلطة الموحدية الجديدة وهو ما غفلت عنه الكثير من الدراسات السابقة في رصد بذور الخلاف بين المجتمع والسلطة[18]

2 الموحدون والعامة والبحث عن الرضا والقبول

على عكس ما قد يتوقع لم يكن استقبال الموحدين في الاندلس رافضا بصورة عامة في بدايته فقد كانت شرائح واسعة من المجتمع الاندلسي قد سئمت من ضعف المرابطين وترهل ادارتهم في اواخر عهدهم وكانوا يتطلعون الى سلطة اكثر قدرة على حماية الحدود واكثر عدلا في توزيع الاعباء وقد جاء الموحدون بخطاب يلامس هذا التطلع حين وعدوا بحكم يقوم على العدل والشورى وصون

---

[16] رودريغيث خيميث، تاريخ الاندلس، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م، ص 276

[17] محمد الهاشمي الكوكبي العامة في المجتمع الاندلسي بين الخامس والسابع الهجريين مجلة الدراسات التاريخية جامعة دمشق 2001م ص 44

[18] ابن تومرت محمد اعز ما يطلب تحقيق جعفر ناصر الدين دار الغرب الاسلامي بيروت 1997م ص 62

حقوق الناس والتقرب من الرعية والترحيب بهم بما يتوافق مع الرضا والقبول الشعبي المتبادل وهي لغة واسلوب تعامل وردت بكثرة في المصادر الاسلامية التاريخية الاولية التي بينت طبيعة السياسة السلطانية تجاه الرعية في ذلك العصر مبتعدة عن استعمال المصطلحات الفرعية الحديثة والمفخمة التي لا تتماشى مع طبيعة ومناهج البحث التاريخي الكلاسيكي[19]

ولكن الفارق الذي سرعان ما بدا جليا كان في الاسلوب فالموحدون اتوا وفي ايديهم مشروع ايديولوجي ثابت لا يقبل التفاوض في جوهره وكانوا يريدون تطبيق هذا المشروع على مجتمع اندلسي يملك تقاليده الدينية والثقافية الراسخة ولا يرى ضرورة للتخلي عنها وهنا بدأ الاحتكاك والرفض الصامت الذي اخذ يتصاعد شيئا فشيئا في الحواضر الاندلسية الكبرى[20]

3 التوتر الديني واثره في الهوية الاندلسية

الضربة التي وجهها الموحدون للمشاعر الاندلسية الاعمق لم تكن في الضرائب ولا في التعيينات الادارية بل كانت في الموقف من المذهب المالكي فابن تومرت ومن جاء بعده كانوا يرون في المالكية التقليدية انحرافا بسبب ما اعتبروه تقليدا اعمى وتغليبا للراي على النص وقد ترجم الموحدون هذا الموقف الى سياسات تضيق على تدريس فقه المالكية التقليدي وتقيد حضور فقهائها وعزل ائمة المساجد الذين نشأ العامة عليهم وثقوا بهم طويلا

ولم يكن الاندلسيون العاديون يفقهون في تفاصيل الخلاف الكلامي والفلسفي العالي بين الموحدين والمالكية لكنهم كانوا يفهمون بلغة المعاش اليومي ان مساجدهم وعلمائهم الذين يمثلون هويتهم الدينية باتوا موضع طعن وتهميش من السلطة الحاكمة مما ولد فجوة نفسية واجتماعية هائلة بين الحكام وعامة الناس عجلت بتأكل الشرعية الموحدية تدريجيا لا سيما بعد انشغال الدولة بحملاتها الخارجية الطويلة[21]

4 الاعباء الاقتصادية واصوات العامة عبر الثقافة

لم يختلف الموحدون عن المرابطين كثيرا في ما يخص الضغط الضريبي بل يذهب بعض المؤرخين الى ان هذا الضغط كان اشد في مراحل بعينها من العهد الموحدي بسبب تمويل الحملات العسكرية المتلاحقة التي خاضها الموحدون في الاندلس وشمال افريقيا وقد وقع ثقل هذه الاعباء بصورة غير متناسبة على عاتق الفئات الدنيا التي لم تملك من الحيلة ما يعينها على تخفيف هذا الثقل وانتشر الفقر في المدن الاندلسية الكبرى في اواخر العهد الموحدي فالمصادر تتحدث عن اعداد متزايدة من المعدمين في اسواق اشبيلية وقرطبة وغرناطة وهي ظاهرة التقطها بعض المتصوفة ووظفوها في بناء شبكات نفوذ اجتماعي موازية للسلطة الرسمية قائمة على الرعاية الاجتماعية والارشاد الروحي والنقد الضمني لسياسات الدولة

---

[19] ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م، ج 5، ص 301

[20] عبد الواحد المراكشي المعجب في تلخيص اخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان القاهرة 1949م ص 104

[21] ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر دار الكتاب اللبناني بيروت 1981م ج 6 ص 210

ولم يكن الاحتجاج دائما مسلحا بل كان الاندلسيون يملكون ادوات اخرى اكثر رهافة واعمق اثرا في الوعي الجماعي فالازجال الشعبية التي كانت تنشد في اسواق المدن ودكاكين الحرفيين وتجمعات الطرقات كانت مرآة حقيقية لمزاج الشارع الاندلسي وحين نقرأ ما وصلنا من هذه الازجال نجد احيانا نبرة شكوى خافتة ووصفا للحاكم البعيد وحنينا الى زمن سابق كما ان المساجد كانت فضاءات للتعبير الاجتماعي غير المباشر عبر خطباء يعرفون كيف يصيغون خطبهم بطريقة توصل الرسالة الى المستمعين دون ان تكون قابلة للملاحقة القانونية الصريحة مستخدمين الامثال القرآنية والقصص النبوية كأدوات نقد سياسي فعالة يفهمها العامة[22]

المبحث الثالث مقارنة تحليلية بين الدولتين لدروس السيرورة التاريخية

حين نضع التجربتين جنبا الى جنب تتكشف اوجه تشابه لافتة تتجاوز المصادفة وتنم عن ديناميكيات هيكلية عميقة في طبيعة السلطة والمجتمع فكلتا الدولتين دخلتا الاندلس حاملتين خطاب الاصلاح الديني والعدل الاجتماعي وكلتاهما اصطدمتا بفجوة متزايدة بين ما وعدتا به وما حققتاه في الواقع وكلتاهما اعتمدتا على المؤسسة الفقهية وسيطا ضرورياً في ادارة العلاقة مع الجمهور وان اختلف الاسلوب اختلافا جوهريا وكلتاهما شهدتا انحسارا تدريجيا في الشرعية الشعبية استغرق عقودا لا شهورا[23] لكن الفوارق بين التجربتين لا تقل اهمية عن اوجه التشابه فعلى صعيد الايديولوجيا كانت المرابطية حركة براغماتية نسبيا تكتفي بالاصلاح الاخلاقي والسلوكي دون ان تقترب من الهوية الدينية الراسخة للمجتمع الاندلسي في حين جاء الموحدون بمشروع عقدي يمس في جوهره ما اعتبره كثير من الاندلسيين ثوابتهم الدينية وهذا ما جعل التوتر في العهد الموحدي اعمق جذرا واصعب حلا وعلى صعيد الجغرافيا السياسية كان المرابطون يديرون دولة مركزها الاندلس بصورة نسبية اما الموحدون فقد بنوا امبراطورية امتدت من وادي السنغال جنوبا الى نهر تاجه شمالا وكانت الاندلس في هذه الامبراطورية ولاية هامة لكنها ليست المركز وقد ادرك الاندلسيون العاديون هذا الفارق وشعروا بانهم باتوا هامشا جغرافيا وسياسيا في منظومة لا يشكلون فيها الاولوية مما سرع من نهاية السيطرة الفعلية للدولة عند سنة 620 هجريا[24]

[22] جعفر ابن الحاج السلمي التصوف الاندلسي وعلاقته بالسلطة دار الغرب الاسلامي بيروت 2004م ص 118

[23] انخيل بالنسيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955م، ص 289

[24] المقري التلمساني احمد بن محمد نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب تحقيق احسان عباس دار صادر بيروت 1968م ج 2 ص 402

الخاتمة

توصل البحث الى جملة من النتائج يمكن ايجازها فيما ياتي

اولا: ان العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الاندلس الوسيطة كانت علاقة دينامية متحولة لا تقرأ بمنطق الثبات بل بمنطق التفاعل المستمر بين المتغيرات الاقتصادية والدينية والثقافية والامنية وقد بدا هذا التحول جليا في كلا العهدين المرابطي والموحدي[25]

ثانيا: لم تكن العامة في الاندلس كتلة صماء سلبية بل كانت مجتمعاً حيا يملك اشكال تعبير متعددة واليات ضغط متنوعة استخدمها في مواجهة السلطة حين رأى في سياساتها ما يمس مصالحه او يهدد هويته القومية او الثقافية

ثالثا: ان التوقف التاريخي للدراسة عند حدود سنة 620 هجريا يمثل بداية النهاية الفعلية للحضور الموحدي القوي بالاندلس ممهدا للسقوط الشامل والنهائي لدولتهم سنة 646 هجريا على يد قشتالة

رابعا: ثبت ان البنية الاجتماعية العامة للاندلس كانت تضم مكونات اثنية متعددة من عرب وبربر ومولدين ومسيحيين تطلبت من الحكام ذوي الاصول الامازيغية المشتركة سياسات مرنة للوصول الى الرضا والقبول المتبادل وهو ما افتقدته القيادات المتأخرة للدولتين مما فجر الصدامات الفقهية والمجتمعية

خامسا: اكد البحث قيمة المصادر الادبية والثقافية كالازجال والموشحات والخطب المسجدية بوصفها مصادر تاريخية لا تقل اهمية عن كتب التاريخ الرسمية في فهم مزاج العامة ومواقفهم الحقيقية من السلطة

سادسا: يوصي البحث بتشجيع الدراسات المتخصصة التي تعنى بتاريخ الفئات الاجتماعية الاقل حضورا في التأريخ الكلاسيكي كالحرفيين والمرأة والفلاحين وسكان الارياف في الاندلس الوسيطة ويوصي باستثمار ادوات تحليل الخطاب في قراءة النصوص الأدبية الاندلسية للكشف عن ما تنطوي عليه من دلالات سياسية واجتماعية غير مباشرة كما يوصي بتطوير مقاربات بحثية تستعير من علم الاجتماع السياسي الحديث مفاهيم مثل الشرعية والاحتجاج واليات بناء الهوية الجماعية وتطبقها على دراسة المجتمعات الاسلامية الوسيطة واخيرا يدعو البحث الى اصدار ترجمات موثقة للمصادر الاندلسية الاولية الاقل شيوعا لاتاحتها امام جيل اوسع من الباحثين

[25] عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م، ج 4، ص 410

هوامش البحث

1 ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان وا ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م، ص 120.

2 ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979م، ج 4، ص 315.

3 ابراهيم القادري بوتشيش، المغرب والاندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1993م، ص 85.

4 محمد الهاشمي الكوكبي، العامة في المجتمع الاندلسي بين الخامس والسابع الهجريين، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة دمشق، 2001م، ص 44.

5 ابن تومرت محمد، اعز ما يطلب، تحقيق جعفر ناصر الدين، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997م، ص 62.

6 عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1949م، ص 104.

7 ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م، ج 6، ص 210.

8 جعفر ابن الحاج السلمي، التصوف الاندلسي وعلاقته بالسلطة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2004م، ص 118.

9 المقري التلمساني احمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ج 2، ص 402.

10 ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م، ج 3، ص 56.

11 ابن الخطيب لسان الدين، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م، ج 1، ص 210.

12 الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص 47.

13 ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987م، ص 73.

14 ابن الابار القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ج 2، ص 198.

15 ابن ابي زرع الفاسي، الانيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص 88.

16 انخيل بالنسيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955م، ص 132.

17 امبروسيو هوسي ميراندا، تاريخ المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1991م، ص 215.
18 حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، مدريد، 1967م، ص 164.
19 عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م، ج 3، ص 92.
20 ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987م، ص 140.
21 ابن الخطيب لسان الدين، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م، ج 2، ص 34.
22 رودريغيث خيميث، تاريخ الاندلس، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م، ص 276.
23 ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م، ج 5، ص 301.
24 انخيل بالنسيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955م، ص 289.
25 عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م، ج 4، ص 410.

قائمة المصادر والمراجع

اولا المصادر الاولية
1 ابن ابي زرع الفاسي، الانيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور، الرباط، 1972م.
2 ابن الابار القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م.
3 ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979م.
4 ابن تومرت محمد، اعز ما يطلب، تحقيق جعفر ناصر الدين، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997م.
5 ابن الخطيب لسان الدين، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م.
6 ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م.
7 ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م.
8 ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987م.
9 ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان وا ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م.

10 الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.
11 عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1949م.
12 المقري التلمساني احمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.
ثانيا المراجع الحديثة
13 ابراهيم القادري بوتشيش، المغرب والاندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1993م.
14 امبروسيو هوسي ميراندا، تاريخ المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1991م.
15 انخيل بالنسيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955م.
16 جعفر ابن الحاج السلمي، التصوف الاندلسي وعلاقته بالسلطة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2004م. [ملاحظة: يُرجى التحقق من صحة هذا المرجع وتوثيقه قبل النشر]
17 حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، مدريد، 1967م.
18 رودريغيث خيميث، تاريخ الاندلس، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م. [ملاحظة: يُرجى التحقق من الاسم الكامل للمؤلف (Rodríguez Jiménez) وتحديد العنوان الأصلي بالإسبانية توثيقاً سليماً]
19 عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م.
20 لوسيان بولان، الادارة المرابطية في الاندلس، مجلة المناهل المغربية، العدد 14، 1979م. [ملاحظة: يُرجى التحقق من هوية المؤلف الكاملة وصحة بيانات النشر قبل الاحتجاج بهذا المرجع]
21 محمد الهاشمي الكوكبي، العامة في المجتمع الاندلسي بين الخامس والسابع الهجريين، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة دمشق، مج7، ع2، 2001م. [ملاحظة: يُرجى التحقق من صحة هذا المرجع وتوثيقه قبل النشر]

The Relationship of The Rulers of Andalusia With The Common People During The Almoravid And Almohad Eras (484-620 AH / 1091-1223 CE)

Dr. Haider Ali Hawal
Jabir Ibn Hayyan University of Medical and Pharmaceutical Sciences

Abstract

This study examines the nature of the relationship that developed between the rulers of Andalusia and the general public during the Almoravid period (484–541 AH / 1091–1147 CE) and the subsequent Almohad period (541–620 AH / 1147–1223 CE) which marks the historical decline following the Battle of Al-Uqab (609 AH / 1212 CE), leading to the final fall in 646 AH / 1248 CE by Castile The research adopts a comparative descriptive analytical method based on primary Arabic sources to reveal that this relationship fluctuated between acceptance and protest based on economic conditions and religious shifts The study deconstructs the structure of Andalusian society emphasizing its ethnic diversity which included Berbers Arabs Andalusians Muwallads and Christians It highlights the shared Amazigh tribal background of both ruling dynasties and its social impact Furthermore the paper explores the ideological confrontation between the Almoravid adherence to the Maliki school and the Almohad doctrine based on the Mahdi concept which caused societal and jurisprudential shocks among the public Finally the study analyzes how the public expressed their views through cultural tools such as popular Azjal and mosque sermons showing that the common people were an active social force

Keywords: Andalusia Almoravids Almohads Public Shocks Amazigh